

حديث التقريب " لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "



حديث التقريب

" لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "

العبادات المفروضة في الإسلام ذات هدف كبير وهو التقوى: " لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .. " وَلَئِن يَنزَلْهُ التَّفْوَىٰ مِنكُمْ "

والتقوى مفردة إحيائية تصب في الهدف العام للرسالات الإلهية الذي بينته الآية الكريمة: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ "

ولاستيضاح معنى التقوى نرى القرآن الكريم يقول عن المتقين: " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ " .

فالإيمان بالغيب هو الفارق الذي يميز الإنسان المسجون في أغلال رؤيته المادية وبين المتحرر الذي تمتد رؤيته إلى أبعاد مطلقة لاتحدها حدود، وإقامة الصلاة تعني أداء الطقوس التي يعبر فيها المؤمن عن تسليمه لخالق هذا الكون وارتباطه به، والانفاق يعني الخروج من الحرص والطمع والذاتية والانانية ومن (الأننا) إلى (الآخر)، والإيمان بالرسالات السماوية جميعاً يعني الارتباط بالمسيرة الإيمانية للبشرية منذ آدم وحتى الخاتم (عليهم السلام)، والإيمان اليقيني بالآخرة يوجه مسيرة الإنسان ومسيرة المجموعة البشرية نحو ما ينفع الناس ويحذر من الانحراف عن المسيرة التكاملية ومن الزيد الذي يذهب جفاء ومن السراب الذي يحسبه الظمآن ماء .

كل واحدة من مقاطع تعريف المتقين في القرآن له معنى حضاري إحيائي يقي المسيرة من النكوص ويدفعها نحو السمو والاعتلاء .

وبنفس هذا المنظار الإحيائي يفصل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام صفات المتقين، ومما جاء في الخطبة 193 من نهج البلاغة قوله:

«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلَايَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ، وَمَشَاهِدُهُمُ التَّوَاضُّعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاءَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ» .

تفاصيل حياتية رائعة في وصف المتقين تشمل منطقتهم، وملبسهم، ومشيمهم، وحدود أبصارهم، ودائرة أسماعهم وتوجه كلها نحو بناء الإنسان الذي يستثمر فرصة الحياة لما ينفع ولما يفوق سلوكه.

وفي مقطع آخر يقول عنهم:

« لَا يَرِضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْتَرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ. إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِذَنْفُسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّْي

بِنَدْفَسِي؛ اللّٰهُمَّ - لا تُؤَاخِذْ نَبِيَّ بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْ لِي أَوْفَالَ مِمَّا يَطُنُّونَ،
وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ».

أين هذه الصفات السامية من أولئك الذين يستكثرون القليل من أعمالهم ويملأون الدنيا صجيجًا بما يفعلون، ويضخمون ذاتياتهم ويلهجون بما لم يفعلوا ويحبون أن يُحمّدوا بما لم يفعلوا.

وفي مقطع آخر من الخطبة يدخل الزمام في تفاصيل أخرى فيها من الاشارات النفسية والاجتماعية مالا يخفى، وتصبّ جميعها في صياغة الإنسان السامي. السامي الذي خرج من قوقعته المظلمة وانطلق في رحاب حركة ليس لها حدود ويرتقي نحو المطلق سبحانه وتعالى.
يقول:

«فَمِنْ عِلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنْ زَلَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينِهِ، وَحَزْمًا فِي لَيْنِهِ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينِهِ، وَحِرْمًا فِي عِلْمِهِ، وَعِلْمًا فِي حِلْمِهِ، وَقَصْدًا فِي غِنَاهُ، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةِ، وَتَجَمُّلاً فِي فِاقَةِ، وَصَبْرًا فِي شِدَّةِ، وَطَلَابًا فِي حَالِهِ، وَنَشَاطًا فِي هُدًى، وَتَحَرُّجًا عَنِ طَمَعِهِ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِّي وَهَمَّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمَّهُ الذِّكْرُ، يَبْدِئُ حَذْرًا، وَيُصْبِحُ فَرَحًا، حَذْرًا لِمَا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرَحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ».

هذا هو المرجو من التقوى في شهر رمضان المبارك، صياغة الإنسان الذي يتحرك في فضاء ليس له حدود من العلم والمعرفة والعطاء. نسأل الله سبحانه وتوفيق تحقيق شوط من هذا الهدف الكبير إنه سبحانه ولي التوفيق.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
الشؤون الدولية